مع الفجر

عبدالله عمر خياط

.. يبدو أن صديقي الأستاذ عبدالله أبوالسمح أراد كعادته أن يقف وحده.. فكتب قبل حين في زاويته «الرأي الآخر» والتي يشاكس بها عباد الله. فكتب عن الجامعة العربية المفتوحة يقترح تنفيذ مشروعها بالقطاعي.. أي كل بلد على حدة.. أو استثمار جامعة الخليج – المفلسة على حد تعبيره– واتخاذها منطلقاً للمشروع الجديد بدلاً من التكلف بمبان جديدة.

وكما يلوح لي.. ان الصديق أبا السمح.. إما أراد أن يقف لوحده – كما أسلفت – وإما لم يمنح نفسه الوقت الكافي لدراسة مشروع الجامعة المفتوحة.

فالجامعة التي يدعو وينادي بها صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز لا تحتاج لمبان من نوع المباني الضخمة للجامعات.. وكل ما تحتاج إليه مكاتب صغيرة بكل مدينة للتسجيل وما شابه ذلك، على غرار ما هو حاصل في ٨٠٠ جامعة مفتوحة بالعالم.. ثم ان جميع وزراء التعليم قد باركوا المشروع في مؤتمرهم الذي عقد ببيروت وبهذا لا يصح ان يتجزأ المشروع، وانما يتم تنفيذه بحسب البرنامج الذي يتم وضعه بالاتفاق مع وزارات التعليم في الدول العربية.

وذلك لمواجهة الضغط الذي تواجهه الجامعات من الآن فقد قيل ان حوالي ٢٥ مليون شاب بالعالم العربي لم تتوفر له فرصة الالتحاق بالجامعات.

ولقد قرأت خلال الاسبوع الماضي مقالين يتحدث فيهما كاتبانهما عن الجامعة المفتوحة بشكل جيد وفيهما ايضاح لمن خفي عليه الأمر، بحقيقة الصورة التي ستكون عليها.. والمنهج الذي ستنتهجه.

في «الاقتصادية» بعدد يوم الأحد ٣/٥/١٩٩٨م تقول الكاتبة عالية الراشد:

أهداف الجامعة العربية المفتوحة، أهمها: إتاحة التعليم العالي لمن يرغب من أبناء الشعب، إعادة تأهيل المعلمين، تقديم برامج التدريب أثناء العمل في شتى المهن، تقديم برامج تحويلية للمهن لمواجهة البطالة بنوعيها السافرة والمقنعة، وتقديم برامج تعليمية لخدمة قضية تطوير المجتمع، وتقدم الجامعة مناهج مدروسة ترتبط ارتباطا وثيقا بحاجة سوق العمل العربية وتحديات عولمة الاقتصاد خلال القرن المقبل، مثل مناهج التدريب على المهن المختلفة، خاصة المطلوبة في سوق العمل، مناهج تؤهل للحصول على الدرجة الجامعية، مناهج وبرامج بتعليم الكبار وتدريبهم وتطوير قدراتهم، مناهج لتعليم اللغات الأجنبية، ومناهج لتعليم الكمبيوتر والتقنيات الدقيقة، وتنحصر مناهج الجامعة المفتوحة على الدراسات العلمية والتطبيقية والتكنولوجية المتطورة، أي علوم المستقبل، التي تُعرف الآن بأنها أساس التقدم، وجوهر التطور في عالم يقوم على ثورة العلم والتكنولوجيا.

وتتمتع الجامعة العربية المفتوحة المقترح تأسيسها باستقلالية تامة، أي أنها ستكون أهلية غير حكومية، حتى تعمل في حرية تامة بعيداً عن البيروقراطية، مع ضرورة التنسيق مع وزارات التعليم والجامعات التقليدية القائمة في الوطن العربي، وتأخذ فكرة هذه الجامعة في الاعتبار أن التعليم الجامعي المفتوح ليس بديلاً للتعليم الجامعي التقليدي، وانما مكمل له، ويعمل في اطار آخر وفق رؤى وسياسات ومناهج ووسائل مختلفة، لتوصيل العلم الحديث إلى طالبيه حيثما كانوا في منازلهم أو أماكن عملهم.

يذكر أن تمويل هذه الجامعة يعتمد على استثمارات القطاع الخاص، تبرعات أهل الخير، والوقفيات، إضافة إلى رسوم الطلاب التي تحددها التكلفة الحقيقية للدراسة، والدعم الذي يقدمه برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية، برئاسة الأمير طلال بن عبدالعزيز».

وفيما نشرت «المدينة» في نفس التاريخ بتوقيع صحفي، تأييداً للمشروع ودعوة لتنفيذه وذلك – لما يقول الكاتب:–

الجامعة المفتوحة مؤسسة تربوية للتعليم الجامعي تتبع أسلوب التعليم عن بعد ولا تتقيد بالشروط المحددة للقبول مثل الجامعات التقليدية.. بل هي مفتوحة للجميع مادامت هناك الرغبة والدافع للتعليم ومادام الطالب يداوم على تجاوبه وتقدمه في دراسته.

وتتبلور معالم التعليم المفتوح كصيغة للتعليم عن بعد في كونها تهدف أساسا إلى توصيل العلم والمعرفة إلى المحرومين منه بصرف النظر عن الأسباب أو العوائق الطبيعية والمادية التي تحول دون ذلك».

ومرة ثانية وثالثة.. لابد أن يرى مشروع الجامعة المفتوحة النور.. فإن فيه الحل لمشكلة الشباب الذي يبحث عن مقعد بالجامعة ولايجد إليه سبيلا!

سياحة

د. سيف الإسلام بن سعود بن عبدالعزيز

(٢– بداية ونهاية)

لقد أخبرني (حامان) ان مواليد هذه السنة من الرعاع من بني اسرائيل قد تم القضاء عليهم ولم يبق إلا ببنان او ثلاثة سيتم مهاجمتهم في صباح غد، الذي يمثل آخر يوم في هذه السنة التي كما تعرفون اسميناها سنة القتل. وما لم نبادر بالانتهاء من هذه المهمة غداً، فإن سنة السماح التي سمح للنساء من بني اسرائيل ان يتجبن فيها أبناء كما يشاؤون. ستكون حاضرة بأيامها مع اشراقة شمس بعد غد، وإننا باعتبارنا احد احفاد الملك العظيم (اخناتون) سنحافظ على وعدنا، وانني متأكد انه وبهمة هذا القائد الفذ سنكون في مأمن من تبعات هذا الحلم المزعج الذي يزور مخدعي ويؤرق منامي كل يوم. ثم اضاف هذا الفرعون قائلا:

الكهنة ينبئونني أن الغلام المشئوم لن يكون إلا ضمن مواليد هذه السنة لا غير، وانني اقسم بالإله (ر ع) انه لن يفلت من يدي وسينال امله مني العذاب العظيم، وسنظل هذه الدولة وهذه السلالة التي تحكمها سيدة واسيادا للعالمين.

في الطرف الثاني من عاصمة الفرعون رعمسيس الثاني كان المشهد مختلفا اختلافا كبيرا. حيث يشاهد الاطفال المذكور وقد قطعت رؤوسهم وبقرت بطونهم. وجلس ذوو هؤلاء الاطفال يندبون حظهم العاثر، الذي جعل اجدادهم من بني اسرائيل يقدمون الى هذه الارض ويستوطنون فيها. غافلين عما سيحدث لأبنائهم واحفادهم وسلالتهم من التنكيل والظلم والجبروت والسخرة على يد هؤلاء الفراعنة. وهم يدفعون ثمن هذه الهجرة البائسة على شكل عمل مهين لهم وياتسون من الظروف السيئة في مساكنهم ومعيشتهم. وفوق هذا وذاك فإن الحلم الذي اقض مضجع الملك– الذي يرون قصره المنيف من على بعد – قد أكمل حلقة من المآسي والاحزان وجعل من ابنائهم وفلذات اكبادهم وليمة يومية لسيوف هؤلاء الجبابرة المكتسحين.

﴿طسم. تلك آيات الكتاب المبين. نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون. إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾. (٤).

بيت واحد سلم. بيت واحد فقط من مجزرة هذا اليوم ومن شلال الدماء الذي ترى آثاره على الارض مختلطة بدموع الامل والاقارب. في هذا البيت ام واخت ووليد لم يتجاوز عمره الايام القليلة اطلق عليه في لغتنا العربية مسمى (موسى). وكان معهم زائر ثقيل آخر، انه الخوف والرعب مما سيأتي به الغد، وهو الغد الذي يعرفون ان مصير طفلهم لن يكون افضل حالا من مصير اطفال بني قومهم الآخرين.

وقبل ان يزيح الليل لثامه الثقيل عن الوجود، وتباشير الصباح الذي بالكاد بدت ملامح تنفسه تطل على سكان تلك البقعة من الارض، سمع صوت من السماء قادم من اعماق الغيب يقول للمرأة التي احتضنت وليدها الجائع في ركن من اركان منزلهم المتواضع وترتجف خوفا وقلقا على مستقبله الذي لن يتعدى سويعات من وقت سماع الصوت الرحيم والشجي القادم لهم بالبشرى، والذي قال لهم كما جاء على لسان أصدق القائلين: ﴿وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾ (٥)

أخي القارئ الكريم:

لو قدر لك ان تضع نهاية لهذه القصة التي قرأت جزءا من بدايتها انفا، فماذا عساك ان تضع من نهاية؟ إن الوقائع والشواهد وتكوينك البشري يوجب عليك مهما بلغت من قدرة في تأليف القصص والروايات ان تكون منطقيا مع نفسك ومع احداث مؤلفك.

ولهذا فإن نهاية مثل هذه القصص والروايات عادة ستكون خيرا واقرا لمن امتلك القوة والجبروت. وشؤما وانتكاسة لمن اهينوا في الارض وكانوا من المستضعفين. إلا أن الصانع والمدبر والخالق وصاحب الأمر ومن يملك الحاضر والماضي والمستقبل له رؤية اخرى وبالها من رؤية واطلالة. فمنى وقت دنت ساعة الاجل لهذا الوليد جاءت الاوامر الالهية الى امه الى ان انقاذه سيكون عبر الطريق الصعب، ولن يكون هذا الامر لمجرد انقاذه من براثن عدوه وعدو ربه، ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا. ولتكون نهاية هذا المنجبر المتكبر الذي يذيق هذه المرأة وبني قومها الوان العذاب، على يد هذه اللفافة البيضاء التي بالكاد انحسر فيها جسم الرضيع الذي لا يملك حولا ولا قوة.

وبعد يا أيتها المرأة المكلومة لا تخافي ولا تحزني فوليدك سيكون في احضانك لتكملي رضاعة الحب والحنان له، ولكن صبرا سيكون هذا الامر بعد حين وبعد ان يتعلم ملهمات من ربه ليكون حكيما وعليما ومن المحسنين، ولينتهيا بعد ذلك كله لإنجاز مهمة بالغة الخطورة والتعقيد.

ولأن أم موسى لا تتسعدى كونها أما ولن تحتمل لوعة الفراق والصبر على تباشير الامل البعيد وكان فؤادها فارغا. فإن الربط الإلهي على قلبها كان شديداً لتكون من المرسلين، وستعلم لاحقا ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون.

وسنكمل القصة في الاسبوع القادم ان شاء الله

(١) العرب واليهود في التاريخ: للدكتور احمد سوسة ص٦٠٨

(٢) المرجع السابق

(٣) بتصرف من كتاب القصص القرآني: عماد زهير حافظ ص٢٤٠

(٤) سورة القصص الآية من ١–٤

(٥) سورة القصص الآية ٧

وعسير بين يديك غير عسيرة

عبدالقادر بن عبدالحي كمال

أقبل الطائر الميمون يتهادى، العيون تنظره، والقلوب تنتظره، وحطت الطائرة باليسمن والبركة، وأقبلت تختال، وحق لها ان تختال، فعلى متنها الضيف الغالي، الأمير الجليل عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، وعندما فتح باب الطائرة، استقبلت سموه زخات المطر، قبل ان تستقبله القلوب، القلوب التي تخفق شوقاً، وتضطرب تطلعاً، وأطل سموه سعيداً بزيارته لمنطقة عزيزة على نفسه، غالية في فؤاده وقلبه، وخرج الانسان في منطقة عسير، مشاركاً بوقفته، معبراً برقصته، سعيداً بتجمعه، محيياً بتدافعه وتزاحمه، «حييت حاطتك القلوب بحبها».

فحلت في طياتها متصدراً.

لم تثن إنسان عسير ظروف الطقس، وطبيعة المناخ، ولم تهزمه زخات المطر وانهمار البرد، ولم يتراجع امام السيل الذي بلغ منتصف الساق، بل خاضه وراضه، متطلعاً الى شوق الى ضيف عزيز، ومتلهفاً الى رؤية زائر غال، كان المطر ينهمر غزيراً، وعواطف الناس تنهمر بغزارة معبرة في أبلغ صورة، وأجمل تصويرة، عن محبتها للقيادة الرشيدة، وولائها للقيادة الحكيمة، والتفافها حول القيادة الواعية الراعية. والضيف الغالي يلوح بيديه للناس كل الناس.

«ياسيدي وتطل مبتسماً فيبتسم الوجود»

«وعسير تمنحك الوفاء وأنت تمنح بل تزيد»

«وعسير يوم لقائكم فل وريحان وعود»

«وحديثها يا مرحباً ألفاً وبسمتها ورود»

تمنيت لو كنت مصوراً، لصورت الدوافع الذاتية التي دفعت إنسان عسير ليخرج رغم الظروف الجوية معبراً عن فرحته وولائه وإخلاصه ومحبته، تمنيت لو كنت مصوراً لصورت الفرحة التي أطلت من كل عين، وارتسمت على كل وجه، فرحة بزيارة الأمير الجليل عبدالله بن عبدالعزيز لمنطقة عسير، تمنيت لو كنت مصوراً لصورت توافق انهمار الغيث مع انهمار صدق المحبة وعظيم الولاء.. هؤلاء الناس الذين تجمعوا واجتمعوا، وامتلأت بهم جنبات الطريق من مطار أبها الى القرعاء رغم طول المسافة، لم تجمعهم سلطة، ولم يجمعهم حزب، ولم تدفعهم جهة، جاؤوا من عند أنفسهم، جاؤوا من مسافات بعيدة من منطقة عسير، ليعبروا بوجودهم وتواجدهم ورقصاتهم واهازيجهم عن فرحتهم ومحبتهم وإخلاصهم للقيادة الحانية..

«وعسير تفتح قلبها لك أيها الأمل الوطيد»

«وتكاد من فرح تطـــير ومن مباهاة تسود»

وشاء الضيف العزيز أن يراعي هذه العواطف الجياشة، فسار موكبه في تؤدة وتمهل، يرد تحيات الجماهير، ويلوح بيده تقديراً لهم، فكانت لفتة كريمة من كريم، والتفاتة معبرة من متفضل. ليس غريباً على عبدالله بن عبدالعزيز حبه وعطفه ورعايته وعنايته، وليس غريباً على الانسان في عسير ولاؤه وإخلاصه ومحبته لقيادته، تجمع الحب فكانت ثماره:

«في موطني وطن العلا.. عز المسود والمسود»

«يا خادم الحرمين بورك .. عهدك العهد السعيد»

«واخوك عبدالله صنـــديد شمائله شهود»

«وياه ترفق بالضعيـــف وإن يمناه تجود»

«سلمت يد تمتد في .. عطف تساند من يؤود»

لا أبهى من أبها.. ولا عسير في عسير

وقف خالد الفيصل خطيباً في محفل شرفه سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، وقف خالد الفيصل خطيباً فحلق وابدع، جاء بذوب قلبه، وفيض محبته، وصدق شعوره ومشاعره، فحلق وتألق، خرجت كلماته من الاعماق، فأثرت في الاعماق، غمس ريشته في فجر ضحوك وعجاب، اقتطف النجوم وجعلها أزاهير وقلائد، قال لا فض فوه:

«ياسيدي إن للبوح بالحب نشوة، ولتجديد العهد بالولاء موقفاً، وحين وددت ان اسجل نشوة الموقف، استعصيا القلم، واشفقت الكلمة من حمل الأمانة.. والتفت إلى ملهمة الشعر والفنون، شاعرة المدائن والقرى، عروس المصايف، فمدنا الطير وغنى، وانتشف الورد فساح شذى وعطرا، واهتز الشجر ورقص السحاب حباً وولاء.

يا سيدي لست بالذي يتطاول على لحظته او يغفل عن موطن قدمه، حتى أرحب بصاحب الدار في داره، ورب الاسرة بين ابنائه، فما هذه المنطقة إلا جزء من بلادك، وما أهلها إلا اسرتك، وانت المضيف وغير الضيوف، ولكنها الفرحة أبت إلا ان تشكل كلمة وتبث حروفها بين يديك، تغرد حباً وولاء يا سيدي.

يا سيدي هذه عسير جاءت جموعاً تتدفق، وسيوفاً تتألق، الشوق داعيها، والحب هاتفها، تقدم الشكر والعرفان، هتف بالحب إنسانها، وترد بالتأكيد جبالها، وفي لحظة الشوق العظيمة اهتز الانسان بأرضه، فاحتزمت الجبال طرقاً، نفذت بين احشائها انفاقاً، ونقلت على متونها جحافل العلم، تنير العقول، وتعالج النفوس، فتقهقر الجهل، وما إن استضاء الفكر بالعلم حتى ابترى الانسان السعودي، يبني للمجد صروحاً، ويزرع للمستقبل أملاً، ويسجل للتاريخ مثلاً، فلم يعد ابهى من ابها، ولا عسير في عسير، تزينت البلاد بالحدائق والغابات، يسترها رداء السحاب نهاراً، وتطوقها اساور الكهرباء ليلاً. وامتدت كل قرية تصافح اختها بيد من طريق، وبرعشة من كهرباء، فدبت في كل واد وعرق حياة، تعين الشباب على مستقبل زاهر، وتمسح بيد الحنان مقلة عابس، فارتفعت الأكف دعاء ووفاءً وحباً وولاءً ياسيدي.

ياسيدي إن للماء في هذه المدينة قصة، ويشاء الله ان تكون قيادتنا كعادتها بطلة خير في كل قصة. فمنذ أعوام افتتح اخوك الملك المفدى بيده الكريمة سد أبها، وها هي يدك الكريمة اليوم تفتتح تحلية مياه البحر، وكأنكما والقدر وهذا الجبل الأشم على موعد، فتجتمع قمة العطاء مع قمة الوفاء، وتلتقي على يمينك قطرة ماء السحاب، مع قطرة ماء البحر، فتجري المياه دليل حياة، وترتفع الأكف دعاء ووفاء وحباً وولاء ياسيدي.

وأخيراً وهذه لوحة عسير تكتمل الوانها زهواً وسمواً، تأبى اريحيتك السعودية العظيمة الا ان تؤطرها بعبق الكلمة، فكانت كلمة رجل الوطن على مستوى الوطن، صحيفة «الوطن» عشت ياسيدي رمزاً للوطن في ظل اخيك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز سلمه الله وايده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

اطربتنا ياسمو الأمير، وحلقت بنا، نقلتنا من غيمة الى غيمة، ومن نجمة الى كوكب، طوقتنا بالفل والياسمين، وغمرت الكون عطراً وزنبقاً بلغتك السهلة، واسلوبك السهل الممتنع، طوعت العبارات، ورضت الاسلوب، وخضت في عباب الإبداع، فعزفت ورقصت القلوب وعبرت عن صدق المحبة وعظيم الولاء. صح لسانك.

أضواء

د. عزيزة المانع

قوة العدل

جاء في خطبة لسعيد بن سويد: «لايزال الإسلام منيعا ما اشتد السلطان، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف، ولا ضربا بالسوط، ولكن قضاء بالحق، وأخذ بالعدل».

أليس هذا بقول صحيح، يتمثل فيه المفهوم السليم لمعنى القوة؟ فالقوة ليست بشدة البطش، لأن من يبطش لا يعدم ان يجد يوما من ينتقم منه، ويقابل بطشه ببطش مثله. لكن القوة التي لا تهون ولا تضعف هي أحقاق الحق، ونشر العدل. وهي قوة تورث المحبة في القلوب، وتبعث الرضا في النفوس.

لقد اعجبني هذا القول لابن سويد فأخذت اتأمل في معنى العدل الذي جعل له القوة الحقة، واعطاه تلك المكانة الثابتة. لقد وجدت ان من معاني الأخذ بالعدل، ان تكون الفرص متاحة للجميع في اي مجتمع بحسب قدراتهم ومهاراتهم. فلا انتقاء ولا تخيير، وانما هو باب مفتوح امام الناس كلهم، يلج خلاله من يملك منهم الكفاءة اللازمة من معرفة او موهبة او اجادة واخلاص، أما من لم تمكنه قدراته، فعجز عن الدخول، فذاك شأنه. ومن معانيه، ان يكون هناك من الأنظمة والقوانين والاعمال ما يعين الناس على الحصول على حقوقهم الاساسية في الحياة، فلكل انسان الحق في ان يحصل على التعليم الجيد والرعاية الصحية السليمة والغذاء الكافي والماء النظيف والمسكن الصحي ومجال العمل الذي يمكن ان يرتزق منه. كذلك من معاني الأخذ بالعدل، ان يكون الرأي مشاعا بين الجميع، والشورى هي الثقافة وسلفهم، فلا احتكار للرأي ولا انغلاق فيه. ومن معانيه ايضا، ان ينعم كل الناس في اي مجتمع بما في بلدهم من ثروة وخير، فلا تتركز النعم في أيد قليلة تتلوثها وتستأثر بها فلا يصيب الباقون منها سوى الفتات. ومن الأخذ بالعدل، ان يجد الناس من يفصل فيما يشجر بينهم، ومن يحفظ حقوقهم، ويحول دون طغيان بعضهم على بعض، ليس بالانظمة والاحكام وحدها، بل بالتنفيذ والفرض والالزام.

ان تأسيس أي مجتمع على اقامة العدل، يزيد في سعادته، وفي قوته، وفي ترابط افراده بعضهم البعض. بينما تأسيس المجتمع على السوط يوهن قوته، ويشل تقدمه، ويزيد في شقائه. ويبيد المجتمع ان يرفع بالعدالة الى الانتشار، او يضطرها الى الفرار. فمن المتوقع ان ينعدم العدل من المجتمع متى كان بين افراده من يشجع الظالم ويحابيه، ومتى الف الناس ان يجاملوا الظالم فلا يسمعون كلمة نقد او اعتراض، او الف الناس ان يخدعوا بالكلام المنمق، وبالوعود الخلابة، وبالملق والزيف، فما يعودون يفرقون بين الحق والباطل. واذا كان مجتمع ما هذا شأنه فانه يستحق ما يجرى عليه من بعد عن العدالة. لأن العدالة يرعاها الناس انفسهم، وبأيديهم جعلها تنمو وتنتعش او تركها تذوي وتتلاشى.

فالمجتمع الواعي هو الذي يقيس الامور بنتائجها، ويزن العاملين بأعمالهم لا بأقوالهم. وهو الذي يقوم الاشياء بحقيقتها لا بظواهرها. فلا يقبل ان يكون هدفا للأكاذيب او الخداع، او يرضى بأن يكون مهادنا للفساد او متحالفا مع الانحراف. فكل نظام عادل هو يستعد عدالته من المجتمع.

مرايا عاكسة

د. وحيد حمزة عبدالله هاشم

رضاء الناس غاية لا تُدرك

«رضاء الناس غاية لا تُدرك» من المقولات العملية والواقعية المشهورة التي لا يعاني منها الا من كان على اتصال واحتكاك بالجمهور او على علاقة مباشرة بهم سواء كانت علاقة عملية او ادارية، مالية ام وظيفية.. بل وحتى على مستوى العلاقات الاسرية فان الامر يصبح صعبا وسقفا، ومتعبا ومؤلما نفسيا فيما لو كان كبير العائلة سواء من حيث السن او المركز والمكانة في وضع يصعب عليه ارضاء الجميع وخصوصا فيما لو تفاوتت في ذات العائلة الممتدة جذور القيم والمفاهيم والمبادىء والمرتكزات والاخلاقيات والخلفيات النفسية والعقائدية.

وتكمن المشكلة في كون الناس اشكالا وانواعا ومستويات واذواقا، واحزابا وفرقا وجماعات والذي «يزيد الطين بلة» كما يقولون لو حاول الشخص ارضاء الجميع فإنه قد يغضب الجميع، ولو حاول اتباع طريق معين واسلوب واضح ومنهج قويم فإنه سيغضب الجميع ايضا لا محالة.

فلو اتبع سياسة الحزم والشدة وطبق النظام وتقيد بتعليماته ولوائحه وطبقها على الجميع، فإنهم يصفونه بالشدة والعنف والغطرسة والتعالي.. ولو اتبع سياسة اللين والتعامل بالحسنى، سيطلق عليه مسمى الرجل الضعيف الذي لا يستطيع ان يقول لا، بل ويتجرأ عليه الجميع وتقل هيبته وينعدم مقداره.

وفي مجتمع تتداخل فيه العلاقات الاسرية وتتشابك في حلقاته المتصلة عوامل دائرة القربى وذوي الرحم، وتختلط فيه اسس العلاقات العامة والخاصة، من السهل جدا على اي انسان في موقع سلطة ان يقع في معضلة ارضاء الناس مهما فعل او عمل.

وفيما لو سألت شخصا ما عن رأيه في شخص اخر في موقع ما من المواقع الخدمية فإن اجابته حتما ستكون اما لا اعلم لانني لم اتعامل معه بعد، او سيمدحه مديح المتنبي لسيف الدولة ان كانت تجربته معه ايجابية، او سيهجوه هجاء الفرزدق لجرير او العكس ان كانت تجربته معه سلبية.

وتتجلى هذه الحقيقة بوضوح في جميع المجالس العامة والخاصة حيث ينكب عدد كبير ممن لا هم لهم ولا مشغلة الا طرح القضايا والمواضيع العامة والخاصة وتحليلها وتعليلها كل على هواه ومن ثم التوصل بسرعة عجيبة الى الاسهاب في المديح او الذم وفقا لاهوائهم وتجاربهم الشخصية مع فلان او فلان، وينبري لهم كالسيف من كانت تجربته مع هذا الشخص او ذاك على النقيض الاخر.. ومن الصعب لاي من الطرفين اقناع الطرف الاخر بصحة وجهة نظره ورأيه.

ومن الجانب الاخر فان الانسان بشر غير معصوم عن الخطأ، وله مشاكله واوضاعه واحتياجاته الخاصة وله احاسيسه ومشاعره وحالاته النفسية السلبية والايجابية التي يقع فيها لسبب او لاخر بفعل عقد الواقع وواقع الحياة.. ولذلك فمن جاء في الوقت غير الملائم لقي ما لا يرضيه ولربما ما لا يسره، ومن جاء في الوقت الصحيح خرج راضيا ومسرورا.

والحياة بدورها معقدة الجوانب ومتداخلة الجذور في صميم الواقع. ومتشابكة مع ما هو كائن ومع ما يجب ان يكون، وبمعنى اكثر وضوحا فان الحياة الانسانية بصفة عامة مقيدة بشكل او بآخر بالمصالح الفردية والجماعية، وبنواميس الانظمة الطبيعية والوضعية التي قد تسر البعض وقد تغضب البعض الآخر، وقد تقف عائقا امام الفرد او ربما امام الجماعة وخصوصا ما يتعلق بمفهوم المصالح والمطامع، ومع كل اسف فان نسبة كبيرة من البشر لا يهمها الا تحقيق مصالحها الفردية حتى وان كانت على حساب المصالح الجماعية.

لذلك من الصعب جدا ان لم يكن من المستحيل ان يحصل المرء على سمعة ناصعة البياض لا غبار عليها ولا قدح فيها او ثم، ومن الصعب جدا ان يقوم بفعل او عمل او مسلك يحوز على رضاء كامل وقناعة كاملة من الناس لان النفس بسيرها الهوى والمصالح والمطامع فالنفس امارة بالسوء الا لمن استعاذ من الشيطان وسمى بالرحمن وتوكل على الله وتوخى مرضاته وحده سبحانه وتعالى ثم مرضاة ضميره الحي ان كان له ضمير وعمل على تطبيق مبادئه الشريفة ان كانت له مبادىء.

مصير البحث العلمي.. بين الوزير ومدير الجامعة

د. أمين ساعاتي

يؤكد تاريخ الدول التي انتقلت من مستوى الدول النامية الى مستوى الدول المتقدمة De-veloping Countries Developed Countries

ان الاهتمام بالبحث العلمي لعب الدور الاساسي في تحقيق هذه النقلة الهائلة في تاريخها.

والواقع ان هناك اجماعاً – على كل الأصعدة – بأن البحث العلمي هو أساس التنمية والتقدم والحضارة. بمعنى ان البحث العلمي هو قرين الحضارة وهو رافدها وميدانها الذي تجرى عليه تجاربها واختباراتها، فلا يُمكن ان تتصور قيام حضارات جنوب الجزيرة العربية، وحضارات القبائل العربية الفرعونية في مصر، وحضارات الاشوريين والبابليين في بلاد الشام، وحضارات الأغريق والرمان، وحضارتنا الاسلامية الخالدة، ثم الحضارة الغربية في العصر الحديث.. لا يمكن ان نتصور قيام كل هذه الحضارات دون ان تكون هناك بحوث علمية وضعت الخطوط العريضة لانطلاق تلك الحضارات.

ومع ان كل الحضارات القديمة اسهمت بقسط في تطور البحث العلمي، إلا ان العرب هم واضعو قواعد انطلاق الحضارة الاوروبية (عصر النهضة).

لقد تجاوز الفكر العربي الحدود الصورية لمنطق أرسطو، واتبع العرب في انتاجهم العلمي اساليب مبتكرة في البحث، فاعتمدوا على الاستقراء والملاحظة والتدريب العلمي والاستعانة بادوات القياس للوصول الى النتائج العلمية. ونبغ من هؤلاء كثيرون منهم الحسن بن الهيثم وجابر بن حيان ومحمد بن موسى الخوارزمي، والبيروني، وأبو بكر الرازي، وابن سينا وغيرهم. ولقد مهدت الاضافات الرائدة التي اضافها العرب المسلمون الى مناهج البحث العلمي، الطريق الى مزيد من التقدم في عصر النهضة الاوروبية.

فمثلاً لولا العمل الخلاق الذي قدمه ابن الهيثم لاضطر اسحق نيوتن أن يبدأ من حيث بدأ ابن الهيثم، ولو لم يظهر جابر بن حيان لبدأ غاليليو من حيث بدأ ابن الحيثان..

أي انه لو لاجهود العرب لبدأت النهضة الاوروبية في القرن الرابع عشر الميلادي من النقطة التي بدأ منها العرب نهضتهم العلمية في القرن الثامن للميلاد.

واذا كنا نحن عرب اليوم ننحدر من جذور هذه الكوكبة العلمية التي اضاءت طريق الانسانية، فلماذا نستكثر على انفسنا ان نأخذ بدأ اخذ به اجدادنا من الاهتمام العميق بالبحث العلمي؟!

* * * * *

أقول: حينما نتصفح تاريخ الوزارات والوزراء في المملكة العربية السعودية منذ قيام أول مجلس للوزراء في عام ١٣٧٣هـ – ١٩٥٣م.. نجد بأن الاكاديميين من الحقائب الوزارية يتجاوز مئات الحقائب تقريبا. أي ان الاكاديميين الذين يؤمنون بالبحث العلمي كأداة للتقدم، أتيحت لهم فرص استخدام البحث العلمي ودعم دوائره في النهوض والتطوير. ولا شك ان هذا الرقم الكبير في «توزير» الاكاديميين يوضح الى أي مدى تهتم حكومتنا الرشيدة بالبحث العلمي ومتعلميه من الكفاءات المتخصصة.

وتتمتع الوزارة الحالية بوجود مجموعة كبيرة من الوزراء الاكاديميين النجباء، ولكنهم للأسف لم يقدموا شيئاً ملحوظاً للبحث العلمي.

لقد كنا نتوقع ان يبدأ الاهتمام العلمي بالبحث العلمي من خلال هؤلاء النخبة الذين كانوا في الجامعات يطالبون الوزارات والمؤسسات والشركات بالاهتمام بالبحث العلمي.

ولكن حينما أصبح قرار الاهتمام بالبحث العلمي فوق مكاتبهم ومن مسؤولياتهم المباشرة كأن نسيان البحث العلمي أصبح هو الخيار السائد.

ونذكر على سبيل المثال معالي الزميل الاستاذ الدكتور اسامة شبكشي وزير الصحة، الذي كان عميداً لكلية الطب، ثم مساعداً لمدير الجامعة للبحث العلمي، ثم اصبح مديراً لجامعة الملك عبدالعزيز، فوزيراً للصحة.

وكان يُفترض أن تكون وزارة الصحة هي الوزارة الاولى التي تهتم بالبحث العلمي وتُنشئ من أجله المختبرات، وتُصمم اليه دائمة للتعاون مع الجامعات لتعزز دور البحث العلمي في حل مشاكل المجتمع.

ولكن يبدو أن هذا الموضوع لم يعد موضوعا يقع ضمن أولويات وزارة الصحة، فلم يصدر بيان من أي جامعة من جامعاتنا يتحدث عن النتائج العلمية التي أجريت لتحليل ظاهرة من الظواهر أو وباء من الأوبئة، أو مشكلة من المشاكل، أو اكتشاف علمي لعلاج مرض من الامراض العضال، بل تبدو لي الجامعات السعودية وكأنها مسؤولة عن الفصول الدراسية وليست مسؤولة عن المشاركة في معالجة مشاكل المجتمع.

أقول مرة أخرى. لم يتسعود المجتمع السعودي أن يستمع أو يشاهد أو يقرأ في وسائل الاعلام تقارير اعلامية صادرة عن جامعاتنا تعالج مشاكلنا الاجتماعية أو الصحية أو الاقتصادية أو الثقافية.....

ونعرف جميعاً بأن البحوث العلمية في الولايات المتحدة الامريكية واوربا تصدر عن الجامعات، ومن الجامعات تصدر مفاتيح الحلول الموضوعية لاعراض وامراض المجتمع.

ومسألة وزارة الصحة هي جانب واحد من قضايا بحثية متعددة تبدأ بالذرة والطب والصناعة والزراعة والاقتصاد والاجتماع والادارة.. حتى الفن والرياضة.

وما نقوله هنا عن وزارة الصحة، فانه ينسحب على كل الوزارات والمؤسسات العامة والخاصة.

وإتساءل: هل نحن مجتمع يخلو من المشاكل، أم أن جامعاتنا لم تضع البحث العلمي في أجندة اهتماماتها الاساسية؟!

ان المنهج العلمي، في تقديرنا، هو عبارة عن طريقة عملية منظمة تسعى من خلالها الى كشف الحقائق معتمدين على قواعد موضوعية تقود الى فرز الحقائق وتبويبها وتحليلها، ثم نستخلص منها المبادئ والقوانين العامة.

وفي القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾. فالمناهج هي الطرق الواضحة التي يسلكها الدارسون في دراساتهم لظاهرة ما من الظواهر محل الدراسة والبحث.

ومن الثابت بأنه لا علم بغير منهج، والمنهج العلمي قوامه الاستقراء، وبه توصل العلم الى وضع قوانينه العامة التي خلصت الانسان من الخرافة والشعوذة، ومكنته من الوقوف على الحقيقة والابراء من عدد كبير من الامراض والمشاكل.

وبتطبيق قوانين العلم تمكن الانسان من السيطرة على قوى الطبيعة التي سخرها الله تعالى له، والتحكم في مقدراته وتحقيق المنجزات الهائلة التي ادخلت الانسان الى عالم المعجزات والمنجزات الحقيقية لا الخرافية. ونستطيع ان نقول ان كل ما يقع بين ايدينا في هذه الايام من تكنولوجيا الاتصالات والفضاء، من الفاكس والكمبيوتر والانترنت والفضائيات وما سوف ينقلنا الى القرن الحادي والعشرين وعصر العولمة والمعلوماتية.. كل ذلك لم يكن ولن يكون الا من خلال البحث العلمي...

ان البحث العلمي بمتطلباته وادواته التي ذكرناها لا يمكن تنفيذه من فراغ، بل ينفذ من خلال منهج محدد يختاره الباحث بحيث يكون ملائما لمضامين بحثه، بساعده في الوصول الى نتائج جيدة. يعرف الباحث بأن كتابة البحث بدون منهج محدد او مناهج محددة سوف يفقد البحث أهم أسسه العلمية.

ان حياتنا اليومية العادية مليئة بالتجارب، حتى امثالنا الشعبية الدارجة يمكن تعميمها وتحويلها الى فروض علمية قابلة للاختبار، وهذه التجارب كانت ولا زالت تحتاج الى صياغة علمية نُعالج بها الكثير من المشاكل التي يئن منها أي مجتمع.

لقد أصبح البح